

أضواء البيان

. @ 291

وقد قدّ منهاها بكثرة في سورة (البقرة) ، و سورة (النحل) ، في الكلام على براهين البعث ، وقدّ منا الإحالة على ذلك مراراً . .

وأما الثاني منها وهو كونه يكتب ما قدّموا في دار الدنيا ، فقد جاء في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } ، وقوله تعالى : { هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطَرِقُ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِالْحَقِّ } ، { إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، وقوله تعالى : { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنزُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَزْفِ سِرِّكَ الْيَوْمَ عَلَىٰكَ حَسِيبًا } ، وقوله تعالى : { وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا يَأْتِيهِمْ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا } ، وقوله تعالى : { مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } . وقد قدّ منا بعض الكلام على هذا في سورة (الكهف) . .

وأما الثالث منها وهو كونهم تكتب آثارهم ، فقد ذكر في بعض الآيات أيضاً . .

واعلم أن قوله : { وَءَاثَارَهُمْ } ، فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء . .

الأوّل منهما : أن معنى { مَا قَدِّمُوا } : ما باشروا فعله في حياتهم ، وأن معنى { ءَاثَارَهُمْ } : هو ما سنّوه في الإسلام من سنّة حسنة أو سيّئة ، فهو من آثارهم التي يعمل بها بعدهم . .

الثاني : أن معنى { ءَاثَارَهُمْ } : خطاهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير ، وكذلك خطاهم إلى الشر ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال : (يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم) ، يعني : خطاكم من بيوتكم إلى مسجده صلى الله عليه وسلم . .

أما على القول الأوّل : فاللّاه جلّ وعلا قد نصّ على أنهم يحملون أوزار من أضلّوهم وسنّوا لهم السنن السيّئة ؛ كما في قوله تعالى : { لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ، وقوله تعالى : { وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ } وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ } . .

وقد أوضحنا ذلك في سورة (النحل) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَمِنْ أَوْزَارِ